

نظرات في أخلاق الشباب

من القوانين الحديثة في إيطاليا أن وزارة المعارف منعت المعلمات من تعليم الصبيان بعد سن معينة . والغاية التي قصدت إليها هي أن يتخلق الصبيان بأخلاق الرجال كما يرونها ممثلة في المعلم . فإن جميع المدارس في أوروبا يقوم بتعليم الأحداث فيها من البنين معلمات . بل يكاد يكون التعليم الابتدائي مقصورا على المعلمات دون المعلمين . والسبب في ذلك انخفاض أجور المعلمات من جهة وقدرة المرأة على أخذ الأطفال بالرفقة واللفظ واللين .

ولكن إيطاليا في نهضتها الحديثة رأت أن تفضي صفات الرجال بين الشباب فعمدت إلى المدارس الابتدائية والثانوية ومنعت المعلمات من تعليم الصبيان ما داموا قد تجاوزوا العاشرة أو نحو ذلك . فإن الرفقة واللفظ والليونة والدماثة من الصفات التي تتجمل بها المرأة وقد تبلغ فيها فلا تخرج عن طبيعتها . وهي أيضا قد يتجمل ببعضها الرجل في اعتدال . ولكننا ننظر من الرجل اخشيانا في غير خشونة وجدا في غير صرامة وجلدا على المشاق وشجاعة في القلب وغير ذلك مما لا نتظر من النساء .

ويفتقر شبابنا إلى كثير من هذه الأخلاق . وخاصة في هذا العصر الذي تطفئ فيه علينا ألوان من الضعف الأخلاقي حتى صرنا نرى بعض الشباب يعني بهندامه وينفق الوقت والنقد الثمين على شراء اللباس الفاخر أو العناية الفاحشة بتجميل الشعر أو الوجه مما يعتبر من خواص المرأة التي تستطيع أن تتأنق فلا تجد غير الإعجاب ، ولكن إذا كانت أنيقة المرأة تلقى منا الإعجاب فإن أنيقة الشاب لا تلقى منا غير الاشمئزاز . ويؤسفنا أن نقول إن من الشباب من يبالغ في هذه الأناقة حتى يشتري المواد البراقة لكي يربل بها شعره أو يلمع أظافره وينفق الوقت في تزيين هندامه حتى ليكون للون رباط الرقبة أو لوضع طرف المنديل أو لاختيار الجوارب من الخطورة والاهتمام ما يتجاوز قيمتها . فإذا كانت المرأة تستسجم إن هي بالفت في التأنق فكيف بالرجل ؟

وأكثر هذا التأني يرجع الباعث عليه إلى الرغبة في أن يكون موضع إعجاب المرأة. ولكن من الضلال أن يظن شاب أن الفتاة تعجب فيه بصفات قد اعتدنا أن نقرنها بالأثوثة. فان الفتاة لا تطالب الملاحظة أو الطراوة أو الجمال المصنوع في الرجل. وإنما هي تطلب فيه الرجولة. ولعلها في إعجابها بالرجولة لا تستنكر من الشاب الخشونة بمقدار ما تستنكر النعومة. وهي تنظر إليه من حيث إنه يمثل القوة والكفاءة والحمية والجهد ولا تبالي إزاء هذه الصفات أن تنظر إلى هندامه. ولعل الذين يعرفون الإنجليزية يذكرون أن وصف الجمال لا يستعمل للشباب وإنما يقتصر على المرأة. وإذا احتاج الإنجليزي إلى وصف الشاب بالوسامة فانهم يستعملون لفظة أخرى هي (handsome) وفي هذا التمييز ما يجب أن يكون له مغزى عندنا وهو أن ما نطلبه من الجمال في المرأة ليس هو ما نطلبه من الرجل. وكذلك الحال في التجميل والترين والهندام. لأننا إنما ننظر من الشاب القوة والصحة ومائز صفات الرجولة. فالشاب الأمثل ليس هو الذي يتأنق في لباسه أو طعامه وإنما هو الذي يعنى بصحته فيأمرس من الألعاب الرياضية ما يحفظ به قوامه ويعرف من المعارف الطبية ما يصون به جسمه من الأمراض والآفات. وشبابنا على وجه عام يفتقر إلى ثقافة رياضية تؤدي إلى زيادة الصحة والقوة ولذلك ينبغي لكل شاب أن ينضم إلى أحد الأندية الرياضية وأن يشارك في ممارسة الألعاب فيها. فانه بهذه المشاركة يكفل لنفسه صحة وقواما هي جماع الجمال الذي يتفق والرجولة. ومع أن الأندية الرياضية قد كثرت فان شبابنا لا يزال قليل الغشيان لها يؤثر التراجع على النشاط بقضاء الوقت في الفهوات. ومن هنا هذا الترهل الذي نراه في كثير من شبابنا حوالى الثلاثين من العمر لأن قلة الرياضة البدنية تجعلهم يترهلون ويستكثرون. وليس هناك ما يزيل عن الرجل جماله مثل الاستكراش. وضور الحصر ليس فقط جمالا بل هو صحة أيضا. ولا يمكن أن يحقق هذه الصحة إلا بممارسة الألعاب الرياضية.

ومن الأخلاق التي يفتقر إليها شبابنا الحماسة في العمل. وهذه تبدو في الفتور أو التواني حين نجد أن الشاب قاعدا إلى مكتبه وهو يؤدي واجباته وكأنه يريد أن يتخطى أو يتأهب أو كأنه لم يستوف قسطه من النوم في الليلة الماضية. وكثيرا ما نراه وهو يكتب قد أسند رأسه بيده اليسرى. وهذه الهيئة فضلا عما تجلب من احتقار الغير تجعل الشاب يستهوى نفسه بها إلى الكسل والفتور والنوم. فيجب أن تكون أخلاقنا وقت العمل قائمة على النشاط. وأن يقعد أحدنا إلى مكتبه مستوفزا. بل يجب ألا يخلط عمله بأى تساهية مثل تناول القهوة أو السندويش أو التدخين. ونحن حين نتناول عمننا بروح الجهد والتوفيق مع التوفر عليه ندهش من السرعة التي تحقق بها مقادير كبيرة منه لا تكاد تخطر بهال أولئك الذين يمارسون عملهم في تكاسل وتتأهب ليايألون أن يأكلوا على المكتب كأنه إحدى الموائد. ونشاط النفس ويقظة الذهن كلاهما يحتاج إلى القعدة المستوفزة والقامة المعتدلة التي ليس فيها تكسر أو نحول.

والشاب النرج في عمله هو الذى يهوى العمل ويكاد يقده . وهو حين يشرع فيه لا يكاد يعرف أو يحس ما يعجز حوله لفرط استغراقه فيه . وهو يأخذ نفسه بضروب من النظام والمواظبة والجهد وسائر الصفات التى تحملها على تيار التفوق . ولا يتأتى النجاح — ولا تقوى التفوق — بغير هذه الصفات . وليست هناك حرفة قد بلغت النهاية فى حدود معارفها لأن كل شئ لا يزال يقبل التجويد والتحسين . ولذلك يجب على كل شاب أن يعتمد الى تثقيف نفسه فى كل ما يختص بحرفته . بل عليه أن ينشد الرقى الثقافى العام . لأنه كلما اتسعت آفاق ذهنه ازداد بصيرة بقيمة عمله فكان تجويده له أيسر ، والرغبة فى هذا التجويد أكبر . ومن هنا ينفتح له طريق النجاح . وكثير من شبابنا يقتصر دروسهم على التحصيل المدرسى . فاذا تركوا المدرسة أو الجامعة كفوا عن الدرس . مع أنه فى هذه المرحلة تبتدئ الحياة الثقافية المثمرة . لأن الشاب عندئذ يعود معلمها لنفسه فيقيس كفاءاته ، وعلى مقدار هذا القياس يرتب دراسته فينمو وتنشعب أفكاره وآراؤه ويستطيع أن يجهد المتع والنافع معا فى عالم المؤلفات التى لم يسمع بها من قبل .

ومن الأخلاق التى يفتقر إليها شبابنا حب المغامرة أو حب الاقتحام الرزين . فان توخى السلامة والرغبة فى الاطمئنان كثيرا ما يبعثان شبابنا على الرضى بالهين المأمون من الصناعات أو الأعمال . وهم بذلك يحرمون أنفسهم من عالم حافل بالجليل من الأعمال . ولا نذكر مغامرة لنديرج فى وئته التاريخية من أمريكا الى أوروبا . فانه قد يعد فذا فى هذه الجراءة . ولكن الطموح البعيد يجب أن يعلو على الطمع القريب عند كل شاب . ولذلك يجب أن تكون للشباب بصيرة نيرة جريئة يوجه إليها خطواته ويقدر لها تصرفاته وأن يقصد الى الهدف الأكبر وإن بعدت مسافته لا إلى الأهداف الصغيرة وإن قربت ساقها . فقد تكون الوظيفة الحكومية مأمونة هينة الى جنب العمل الحر الذى تحف به المكافآت والأخطار . ولكن ميدان العمل الحر هو ميدان الابتكار والانشاء والبناء . وفيه تنبى الصناعات العظيمة وتجمع الثروات الطائلة بل فيه الاختبارات الغالية التى تربي الشخصية وتمنى المعارف وترقى الآراء . وهذه الدنيا بما فيها من مكافآت مزية هى طوع الشاب المقام البصير الذى لا يربطه حب السلامة بالوضيع من الأعمال .